القياس بين الفكر و قوّة السيف

حيدر غلامي*

الملخّص

بحثنا يتكلّم عن القياس بين الفكر و بين قوّة السيف.

و قد أثبت التاريخ أنّ اي محاولة لصدّ الفكر باستعمال القوة تزيد من انتشار الفكر و قد أشرتُ في مقالتي بأنّ قوة السيف و الفكر من حيث تأثير تنقسم إلى قسمين و هما انّ السيف تأثيره أسرع من الفكر و لكنّ الفكر تأثيره أدوم من السيف. لهذا نرى رسولنا أكرم (ص) عندنا كان في مكة بقي ثلاثة عشر سنة همّه الفكر الإسلامي و ليس السيف و لم يُجبِر أحداً علي الإسلام، لأنّه كان يعرف أنّ الفكر ممكن ينتصر بلاقوة، لكن القوة لايمكن أن تنتصر من دون الفكر. السيف و النار وسيلة تغيير تكتيكية قصيرة المدى لكنّ الفكر هو وسيلة التغيير الاستراتيجية و هي التي تدوم. و و أشرح لماذا النار و السيف لاتنتصر واحداً بل نحتاج إلى شيءٍ آخر و هوالفكر ويكون الفكر مكملٌ للسيف. يقسّم التفكير في مقالتي بقسمين: التفكير الانتزاعي و التفكير بعقلانية و أشرح نتائجهم و كيفية إستعمالهم في مواقع الخاص. و هذا كان مفيد أنّ السياسيّين سيستمرّ أعمالهم بالفكر و الأهداف ستنتهي و ستختم بقوة الفكر وأن لاسنرى المجادلة المضرّة و المخرّبة و من دون الفائدة. فعليني أن أبحث عن أقسام الغزوة بالسيف و طُرُق الهزيمة فيها و لماذا ليس مخرّبٌ نتائج الفكر و أنّ أيّ الحروب تختم بالانتصار مع الفكر. أشرتُ الى الحروب التي ختمت قبل أن شرعت و الفكر قدكان مُنجي عدد الكثيرة في الدول و قد إمتنع عن التنازع من دون الفائدة في البلدان. كانت طريقة التحقيق التوصيفيّ – التحليليّ و قد شُرحت بعض الحروب التي حدثت علي السيف و الفكر في التاريخ و تُكلّم من نتائجهم و قدأستفيد من بعض الكتب التاريخية. و في الأخير أقول القوة التاريخ قد ينجح في الجغرافيا لكنّها نادراً ما تغير التاريخ. ثمّ كان الفكر غالب علي السيف و صار آلت تحقق الأهداف و علينا أن أستفيد من الفكر (التفكير بعقلانية) و نمتنع من الحروب المخرّبة.

الكلمات الدليليّة: الفكر و السيف، التفكير بعقلانية، الفتح، الحرب ، الإسلام.

---

* طالب في جامعة خليج فارس بوشهر

المقدّمة

في الماضي كانت السيف آلة الحرب. يُستعمل منها في الحروب و كانت مسبب آثار المضرّة. إن أبحث عن الحروب الماضي نحو حروب الايرانيين و الأعراب علي أعدائهم نشاهد الآثار الكثيرة الضارّة في البلدان. اندثر أكثر البلدان و ربّما مات أكثر الناس موتاً خائفاً و على نحو البغيض. في حال كلّما إقتربنا إلى خلال النبي قد قلّت و منخفضٌ من الحروب مقيّدٌ على قوّة السيف. حتى اليوم، التنازعات و الحروب تمتدّ إلى الأفكار و يسمّاها "الحرب الباردة" أو "الحرب التفكيرية".

و كانت مهماً أن يفتتح باب قياس بين قوة السيف و الفكر و يؤدي إلى نتائجهم، ربّما نعرف كيف نستطيع أن نفعل أعمالاً عن طريقة الفكر و لاقادرٌ عليهم بالسيف و كيف نستطيع أن نأتي عن طريقة الفكر الى أهدافنا ولاقادرٌ أن نقضي بالسيف حتى قسماً من الطريق. و علينا أن نعيّن لكم لماذا نأخذ الفكر بدلا من السيف و الفكر ماذا يفعل أن لاتفعل السيف.

اليوم مهما أكثر الدول تقتفي أهدافهم علي الأفكار لكن بعض الدول يحاول إلى الحرب على النار و تكون العطشان بجري الدم. هم يعزلون الأفكار المنطقية و يطابقون سياسيتهم على الحرب و الجدل. نحن نستطيع مع قياس بين الفكر و قوّة السيف أن نشرح دلائلهم لهذا الأعمال و نتائج الحروب على النار و السيف و كانت ضرورة بحثنا أن نعيّن لكل المجتمعات أنّ كل مجتمع يطوي طريقة الفكر تتحقق أهدافهم و كل مجتمع يُستعمل طريقة السيف لن تتحقق أهدافهم.

لكن الدراسات السابقة، لم تؤدّي شخصاً إلى هذا الموضوع. مهما يوجد كيفية تصنيف الأفكار في بعض الكتب. في المثال في كتاب "إضطراب في التفكّر التاريخية" يؤدي فريدون آدميت إلى أقسام الأفكار و كيفية نتائجها لكن لايؤدي إلى قياسها مع شيء آخر. في النهاية لم تؤدي إلى قياس بين الفكر و قوّة السيف و لم يوجد خليفة البحث حول هذا الموضوع.

نحن في هذا البحث نجيب الى هذه السؤالات:

١. لماذا الفكر تأثيره أدوم من السيف؟

٢. لم يستفيد اليوم المجتمعات من الأفكار بدلا من قوّة؟

٣. ماذا تأثير الفكر علي السيف و ماكان نتائجها؟

٤. ماذا اختلاف التفكير العقلانية و التفكير الانتزاعية؟

قياس بين قوة الفكر و قوة السيف في البداية:

كم من الأفكار في التاريخ في الدنيا حاولوا قتلها في مهدها باستعمال القوة و باستعمال السيف فانتشرت كالنار في الهشيم.

لا ينتهي فقط الي الأفكار الإسلامية بل تكون غير الإسلامية. يعني خذوا الحركة البلشفية الشيوعية التي في بداياتها كارل ماكس[١] و أنجليز و لينين[٢] في أول أمرها. قوتلت و حوربت من قِبل القيصرية الروسية ثم انتشرت كالنار و هي التي حكمت البلاد منذ ذلك الوقت.

الحروب التي كانت ضد البروتستانت من قبل الكاثوليك لمّا جاء مارتن لوثر[٣] وحاول أن يُعدّل الكنيسة الكاثوليكية فقاوموه بالقمع هذا في القرن السابع عشر. زاد من انتشار البروتستانت وقوتهم اليوم أمريكا يحكمها البروتستانت منتشرين في أروبا في بريطانيا بشكل قوي جداً.

هذا القمع لاينجح و كذلك حتي في أشياء الصغيرة يعني الحرب التي وقعت علي الاسلام و التي حدثت في أمريكا بعد أحداث سبتمبر و زاد من تعرف الناس علي الاسلام و الاقتناع به.

واليوم قد شاهد في الحراك الشباب الذي حصل في الربيع العربي محاولتهم و مواجهتهم بالقمع و القتل و معركة الجمل و إغلاق الإنترنت. و علي العموم هذه العقلية يجب أن تزول.

المستشرقين حرصوا أنهم يُشوّهوا تاريخنا بادعاء مستمر أن الفتوحات الإسلامية كانت توسعاً عدوانياً باستعمال القوة والسيف وهذا على فكرة صحيح في أجزاء من تاريخنا لكن التاريخ بشكل عام ينفي هذه التُهمة عن الإسلام رسالة الإسلام كانت تفتح القلوب بالدعوة والسلم كانت تفتح العقول بالمنطق والعدل قبل أن يدخل المسلمون إلى الحروب كان المسلمون ما يدخلون أصلاً إلى أي حرب إلّا دفاعاً عن دينهم بعد ظهور نوايا العدوان أو التخطيط أو التآمر على دولة الإسلام بشكلٍ واضح أو اذا استعانت بهم الشعوب المظلومة تستعين بعدل الإسلام الناس كانت تريد هذا.

هذا الذي حدث في فتح الأندلس على فكرة في فتح المسلمين للأندلس الكونت لوليان حاكم سبتا كانوا قومه هم الذين يحكمون الأندلس فجاء من اغتصب منهم هذا الحكم , فلوليان ذهب واستعان بموسى ابن نصير.

---

١. Karl heinrich Marks ؛ الفيلسوف، الثوريّ، الإجتماعيّ، و المورّخ وُلد في ألمانيا مولف كتاب "العاصمة" و موسّس الحركة الإشتراكية.

٢. Vladimir Lenin ؛ 1924 –1898 ؛ مؤسّس دولة الإتحاد السوفياتي مؤلّف كتاب "الهيجيل"

٣.Martin Luther ؛ 1483–1546 ؛ الكاهن الحديث و مترجم الإنجيل وُلى في ألمانيا

هذا الذي حدث في فتح الأندلس على فكرة في فتح المسلمين للأندلس الكونت لوليان حاكم سبتا كانوا قومه هم الذين يحكمون الأندلس فجاء من اغتصب منهم هذا الحكم , فلوليان ذهب واستعان بموسى ابن نصير.

فهم الذين استعانوا بنا وغيرها وغيرها فتح صقلية فتح كريت ... كثير من الفتوحات سببها أن الناس تريد عدل الإسلام ولا تريد ظلم الأديان.

(التأثير بين الفكر والسيف)

لا شك أن السيف أثره أسرع من الفكر هذا صحيح أثر السيف أسرع من أثر الفكر لأنه يُعطي نتائج فاصلة و نتائج حاسمة و نتائج سريعة، لكن كما يقول العرب: كفى ببارقة السيوف فتنة ، لكن الفكر طبيعته أنه يحتاج إلى معالجة ومراجعة وتأمل وروحانية أحياناً. هذا قد يأتي بعد الرد والرفض تأتي فترات من التأمل ثم يأتي القبول يأخذ وقت هذا.

السيرة النبوية الشريفة (الفترة المكية) التي أخذت بمدّة ثلاثة عشر سنة في عهد النبي صلي الله عليه و سلم، نشأت من العقيدة الاسلامي و كانت مَثَل علوّ الإيمان و الأخلاق في الإسلام و فتحت باب الصراع الفكر مع الكفر.

حينما انتقل النبي صلي الله عليه و سلم إلي مدينة المنورة لإقامة السلام شرعت حروب الفكر و السيف معها و انتشرت في كل الجزيرة في عشرة السنوات.

اذاً كان بناء العقيدة وبناء الفكر الإسلامي في مكة وبعدها استمر طبعاً في المدينة المنورة كان أقوى كان أعمق كان أطول زمناً من باقي الفترة التي كانت صراع عسكري وقتال عسكري.

حتى لّما مات النبي صلى الله عليه وسلم وارتّد كثيرٌ من العرب الجزيرة كلها على فكرة ارتدت ثلاث مدن فقط هي التي ثبتت لم ترتد : مكة والمدينة والطائف رغم أن الطائف آخرها إسلاماً مكة كانت على وشك أن ترتد لولا أن ثّبتها بعض الناس القصة طويلة لكن ثلاث مدن فقط وارتدت كل الجزيرة العربية. تسع شهور فقط انطلقوا بعد ذلك جُنداً في خدمة الإسلام وخدمة فتوحات الإسلام العظيمة.

اذاً السيف ما يأخذ وقت طويل لكن غرس العقيدة غرس القيم تغيير الفكر هو الذي يأخذ وقت طويل.

بل أكثر من هذا وأعجب لّما جاء المغول واجتاحوا شرق العالم الإسلامي لّما اجتاحوا بلاد المشرق الإسلامي ووصلوا استمروا حتى وصلوا إلى بغداد وبعدها حلب ودمشق. قوة عسكرية هائلة استطاعت أن تعمل تغيير سريع هذا حدث لكن لم يبقى للمغول أي

أثر بل بالعكس من ذلك . دخل الإسلام في قلوبهم كثير من قبائل المغولية و كذلك دخلت في الإسلام جمع هائل من السياسيين والملوك الحكّام الأمراء و أسّسوا على فكرة دولة يعني للمغول إسلامية في شبه القارة الهندية.

اليوم كثير من سياسينا ومسؤولينا وحكّامنا يرون أنه لا سبيل إلّا سبيل القوة السيف طبعاً هم ما يُسمّونه القوة والسيف هم يقولون لا بد من شيءٍ من الحزم وهو حقيقة شيء من الظلم يُسمى باسم الحزم ويعتقدوا أن هذا هو الطريق الوحيد لضبط الناس حتى نستطيع نحكم فعلاً لا بد من الظلم لا بد من الحزم هذا لا شك يحصلوا على نتائج على فكرة يحصلوا على نتائج سريعة لكنها لا تدوم.

رغم أن السيف أسرع، لكن الفكر هو الأدوم فمن ناحية السرعة يفوز السيف لكن من ناحية الديمومة أثر الفكر أدوم من أثر السيف و السيف لا يضمن ديمومة الأثر ما يستمر.

والسبـــب أن السيف يفرض واقع مرتبط بموازنات القوى وحسب القناعات التي بينها. قد تتغير موازين القوى يتغير كل الأمر و كل الواقع بينما الفكر أعمق أثراً على المدى البعيد.

فتوح السيف مآلها إلى دمار و زوال واندثار واندحار لكن طبيعة الآراء الفكرية أنها لا تدخل القلوب وتدخل العقول إلّا بمفتاح و هو يكون مفتاح الرضا، الإقناع و المنطق فلا يُمكن مواجهة الفكر بالقوة الفكر و الفكر لا يوقفه إلا الفكر.

ولذلك هذا حدث في تاريخنا الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين لّما ثار الخوارج ضد سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الراشد الرابع. لم يواجههم بالسيف اسمعـــوا لّما خرج الخوارج وصل الأمر أن كفّروا علي ابن أبي طالب كفّروا الخيفة قالوا : يا كافر يا عدو الله لا حكم إلّا لله فقال كلمته الشهيرة كلمة حق أريد بها باطل كيف واجههم ؟ ... الصحابة على فكرة بعضهم قالوا له يا أمير المؤمنين هؤلاء خطر احصدهم اقضي عليهم قبل أن يبدأ خطرهم الفعلي ما زال خطر فكري فقال قولته الشهيرة : قومٌ رأوا رأياً فدعوهم وما رأوا.

أرسل إليهم ابن عباس عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وبدأ الحوار الطويل بين ابن عباس مع الخوارج فاستطاع أن يُقارع الحُجة بالحجة , هذا دليل على قوة تأثير الفكر أقوى من السيف بالحجة والمنطق. ردّ حوارهم ابن عباس ردّ على شُبهم تجاه أمير المؤمنين تجاه الفكر القويم بالدليل و بالحكمة و بقوة المنطق رجع منهم في بداية الأمر ألفين وبعدها رجع ألفين آخرين أربعة آلاف من ثمانية آلاف و هم رجعوا بسبب المنطق الباقين معركة واحدة النهرواند قضت عليهم.

ظلّوا هؤلاء يستمروا في إثارة الفتن ضد المسلمين الذين ما اقتنعوا الذين ظلّوا على فكر الخوارج ظلّوا يُثيروا الفِتن لكن الذين اقتنعوا صاروا جنداً من جند الله و السيف سريع لكن لا يدوم.

السيف وسيلة تغيير تكتيكية قصيرة المدى لكن الفكر هو وسيلة التغيير الاستراتيجية و هي التي تدوم.

فالسيف تُغيِّر ميزان القوة لكن الفكر تَثبت هذا الميزان. يعرض فتح المكة كيفية ثبات و دوام الفكر و كيفية نزول السيف.

فتح مصر: هذا الفتح العظيم الذي على فكرة ما استغرق سوى أربعة شهور فقط. كانت القرى تُفتح لهم و تُفتح للمسلمين قليل جداً من المدن، مثل الإسكندرية. كان فيها حاميات رومانية التي فُتحت بالقوة. لكن المدن والقرى التي كان فيها المصريين الأصليين ما قاتلت المسلمين أبداً. هذا الذي يُفسّر كيفية غلبة عدد قليل من المسلمين مع عمر ابن العاص علي المصريين شاسعة. فتحقق فتح المصر علي افكارهم.

بينما المسلمون لّما فتحوا غيّروا المعادلة تماماً. هذا الفتح ما كان فتح عسكري بل كان فتح للقلوب و للعقول.

يقول يوحنا النقيوسي[١] في كتابه: لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوةٍ بالغة. استعملوا القوة ما استعملوا الفكر واتهمونا وظلمونا دون شفقة ولهـــذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل. يقصد العرب لُينقذونا نصارى بنصارى، لكن هؤلاء أرثوذوكس وهؤلاء كاثوليك , لُينقذونا من أيدي الرومان وتركنا العرب نُمارس عقائدنا بحرية. لم يأخذوا شيئاً من مال الكنائس و حافوا عليها طوال الأيام، عشنا في سلام مع المسلمين.

في حكم معاوية ابن أبي سفيان في بداية الدولة الأموية عنه بعد نصف قرن من الفتح الإسلامي كان لا يزال نصف المصريين على نصرانيتهم بعد مائتي وخمسين سنة. بعد قرنين ونصف من الفتح الإسلامي كان النصارى عشرين بالمائة وظلّوا يتناقصوا ليس بقتلهم و ليس بإجبارهم و بقناعتهم وبازدياد المسلمين من جهة أخرى. و لا يوجد أن نصراني واحد في مصر أجبِر على الإسلام. و يدل هذه البحث علي كلام الله «لا إكراه في الدين»

ليون كيتاني[٢] (1926 .م) من علماء الكبار في أروبا يقول حول هذه الفلسفة: «تحول نصارى الشرق نحو الإسلام بسبب وضوح عقيدة التوحيد الإسلامي وبساطة الإسلام وعمقه. يُقارن هذا بالتعقيد و بالسفسطة المذهبية النصرانية والتعقيدات العويصة الكهنوتية. لاشيء في الدين مُعقّد بالنسبة للناس و كانت هذه التي جلبتها الكنيسة الهلينية إلى اللاهوت المسيحي. هذا الأمر أدّى إلى خلق شعور من اليأس و زعزع أصول العقيدة الدينية أي عقيدة واضحة منطقية. هي الإسلام تواجه عقيدة مُعقّدة حتى هم ليسوا قادرين يشرحوها، فما استطاع يصمد فكر أمام فكر منطقي وسهّل أمام فكر مُعقّد. ألا يتوافق مع المنطق ما استطاع يصمد! »

---

١. كان يوحنا أسقف ارثوذكس

٢. Giorgio Levi Della Vida ؛ 1967–1886؛ كان من اللغويين و متخصّص لغات العبري و العربي .

وهو اضاف ايضاً: فلمّا أهّلت أنباء الوحي الإسلامي من الصحراء لم تعد المسيحية الشرقية التي اختلطت بالتحريف وتمزقت بفعل الانقسامات التاريخية كاثوليك أرثوذكس إلى آخره و تزعزعت في قواعدها الأساسية فكر صُدم بفكر أقوى انتصار.

.. (نماذج للفتح بالفكر)

هذه القاعدة مواجهة الفكر بالفكر هي التي تنتصر , لمّا كان أمة االنبي خير أمة واستطعت أن مع الفتوحات تُقيم العدل وتنشر الفكر وتُحاور الحجة بالحجة. انتصرت حتي من دون فتوحات. لكن عندما كانت كأمة تدخل بالقوة ولا تُقيم العدل ولا تنشر الفكر و كان قوتهم تنقلب عليهم.

لمّا كانت تفتح العقول والقلوب كانت تنتصر حتى لو في البداية استعملهم القوة لإزالة طغيان لكن كانت تنتصر الامّة في النهاية , لكن عندما تستعمل فقط القوة بدون ما يكون معها فكر وعدل ما تنتصر. يوجد نماذج مختلفة من هذه الاعمال في الإسلام.

الفتح الفكري (فتح إندونيسيا): النموذج المعروف الإسلام في إندونيسيا (هذه البلد الكبيرة كثافة سكانية ضخمة جداً).

فتح إندونيسيا كانت علي الفكر و لم تُفتح بالسيف. الكل يُجمع أنه دخلها الإسلام بدون معركة و سيف و دخل بتجّار المسلمين

، هؤلاء لمّا جاؤوا من المشرق و أنشئوا لأنفسهم مراكز تجارية على سواحل سومطرة. من أواخر القرن الثاني الهجري و في بداية القرن الثالث الهجري (في 8-9 .م) جاء أوائل التجّار على فكرة. أكثرهم جاء من عمان و حضرموت و الساحل الجنوبي لليمن. هؤلاء الذين فتحوا إندونيسيا و فتحهم كانت بالدعوة و بالأخلاق التجارية.

اتخذوا بعض المراكز التجارية أولية على الشاطئ الغربي لسومطرة وبدأ الناس يتعاملوا معهم فرأوا الأخلاق والعدالة وعدم الظلم وعدم الغش والتسامح واحترام الأديان. هكذا دخل نور الإسلام و انتشرت بهذه الطريقة و انتقل إلى جميع الجزر التي حواليها.

كيفية دخول الإسلام في أفريقا: كانت في صحراء أفريقا قبائل المختلفة التي لم تشموا شيئاً من دين الإسلام. لمّا دخلت الإسلام في البداية طبعاَ لكن ليس لهم من الإسلام إلّا الإسم إلي أن جاء شخص واحد بينهم و هو كان الشيخ عبد الله ابن ياسين. وُلِد في المغرب وهاجر إليهم لدعوتهم إلى الإسلام فطبعاً أول ما بدأ يدعوهم إلى الإسلام زجروه وطردوه على فكرة.

ذهب وعمل له خيمة على نهر السنغال ففي بداية الأمر بدأ بعض الناس يعني الفضول أخذهم بدأوا يزوروه فسبعة زاروه من قبيلة جدالة. فبدأ يدعوهم إلى الإسلام. يشرح لهم فأسلموا , ثم بدأ ازدياد الخيام ويُسمونها الرباط، هذا الرباط الذي بدأ يدعوهم فيه بدأت أعدادهم تزداد ... . خلال أربع سنين صار عدد الذين معه أسلموا ألف شخص. هؤلاء الألف هم الذين أسّسوا دولة من أعظم دول المسلمين. ثمَ سيطرت على شمال أفريقيا وسيطرة حتى على الأندلس حكمت المغرب والأندلس بداياتها كانت بهذه البداية البسيطة الإسلام دخلهم بالفكر قبل السيف.

دخل الإسلام اليوم أفواج ضخمة من قِبل الغربيين دخلاً سلمياً لا بالقوة و السيف. الحروب في الغرب تشرح لكم دليلاً مقنعاً علي كيفية اانتصار الفكر علي السيف و انتشار الاسلام في أروبا و إمريكا. في أمريكا لم يكن في بدايات القرن السالف أو القرن العشرين إلّا أعداد بسيطة جداً وقليلة جداً من المسلمين. المهاجرين جاءوا من البوسنة وبعض البلاد الروسية، لكـــــن فيما بعد جاءت بعض الشخصيات الفريدة.

و منهم كانت الدكتور أحمد توتونجي و ذهب إلي أمريكا و كانت طالباً هناك كباقي الناس لكن أسّس مع إخوانه جميعة الطلبة المسلمين مكاناً خاصاً باسم «إم إس إي» و هناك فتح باب الإسلام و عُلِّم الطلاب الدروس الاسلامية.

الغزو العسكري و الغزو الفكري:

الأمة الإسلامية دائماً كانت تواجه نوعين من الغزو : الغزو الفكري والغزو العسكري.

الغزوي العسكري (الغزو الخشن): الغزو العسكري كان يتم طبعاً بقوات أجنبية دخيلة ومن يُساعدهم من الخونة من أهل البلاد فكانوا الناس يعتبروا هؤلاء خونة وكانوا يتدافعون مستعدين يُقدّمون مئات الألوف مليون ونصف شهيد في الجزائر ومستعدين الناس تُقاوم الغزو العسكري.
الغزو الفكري (الغزو الناعم): الغزو الفكري الذي يتسلل بهدوء. يعني في الغالب يعمل في الخفاء وينتشر على فكرة على أيدي بعض أبناء الوطن. لمّا تذوب هويتهم في هوية الآخرين وبعضهم ممكن يُعتبر رمز فكري و رمز حداثي فهؤلاء يتلّقون مساعدات ومساندات. قد لا تكون مباشرة بل قد تكون على شكل تلميع إعلامي و على شكل استضافات جوائز عالمية. تجعل لهم شهرة دعم مؤسسات دولية و عالمية فيستطيعوا أن ينشروا هذا الفكر بين الناس.

فاذاً الجانب العسكري بسهولة الناس تنتبه إليه، لكن الجانب الفكري المقاومة له في الغالب يكون أضعف.

يكون مبحث السيف و الفكر مبحثاً وسيعاً و تكون مبحثاً من مباحثه «السيف و الحق».

الأفكار هي خلاصة العقول والألباب وكلمةٌ في كتاب قد تفتح ألف بابٍ وباب لا يصدّها جدرانٌ ولا حرّاس.

وعلى مر التاريخ نظر أهل السلطان إلى الأفكار الجديدة بعين الريبة والشك و لم تسلم فتراتٌ عصيبةٌ من حضارة المسلمين و من مشاهد الكتب وهي تُحرق في الميادين العامة بأمر الحاكم.

بعض الكتب قد تتضمن أنواعاً من الزيغ والضلال أو الآراء والأقوال التي تُخالف عقيدة الأمة وتطعن في أصول دينها. لكن بعضها يحتوي أفكاراً اجتهاديةً لا تتعارض مع أصول الدين و تستوجب النقاش الجاد والنقد البنّاء بعيداً عن الغلو أو التعصب.

ورغم أن اقـــــرأ هي أول كلمةٍ في القرآن إلّا أن الكتب التي أتلفتها النيران كانت في الغالب لأسبابٍ دينية أو لخلافاتٍ مذهبية أو لدواعيٍ أمنية.

أحرِقت كتب الإمام الغزالي وفيها كتابه الشهير إحياء علوم الدين وسُحبت نُسخ الكتاب من أيدي الناس والتهمت النيرات بأمرٍ من السلطات كتب الفلاسفة وأشهرهم ابن رشد، الذي كان له موقفٌ في مسألة العلاقة بين الشريعة والحكمة في كتابه " فصل المقال".

اخيرا أحرقت الكتب بالسيوف و الجدل و انفصل الحقوق عن طريقة السيف.

(نماذج للفتح بالسيف):

فتح فيينا: بعدما سيطر المسلمون على القسطنطينية التي هي عاصمة الدولة البيزنطية (استانبول حالياً) بدئوا يُفكّروا في فتح أوربا طبعاً وكانت فيينا هي عاصمة الإمبراطورية الرومانية المُقدّسة يعني كانوا إمبراطوريتين رئيسيتين، ثم تُفتح القسطنطينية.

ولذلك كانت بعد فتح القسطنطينية الهم الأكبر عند العثمانيين كان فيينا، فحاول العثمانيون و فُتح فيينا مرتين (في عهد السلطان سليمان القانوني).

مرة في عام «932 ه.ق» وكاد يفتحها، لكن انتهت الذخيرة التي عنده وانتهت المؤونة التي عنده و كانت مسافة بعيدة، فاضطر أن يرجع , وحاول مرة ثانية في عام «939 ه.ق» وما استطاع أيضاً أن يفتحها. كان ما زالت العقلية العسكرية هي المُسيطرة على العثمانيين ما يوجد محاولة حقيقية فكرية مع المحاولة العسكرية.

وحاول العثمانيون مرة أخري (مرة الثالثة في عام 1087 ه.ق) و فتحوها و سيطرت الجهالة علي استمرار و تأكيد علي الحرب عن طريق السيف عليهم.

الحروب الصليبية: لمّا جاء الصليبيون وحاولوا أن يُسيطروا علينا بالقوة. الحملات الصليبية التي جاءت إلى المشرق في القرنين الخامس يعني بين القرنين الخامس والسادس والسابع والثامن أربع قرون وهم يُحاولوا أن يُسيطروا علينا بالقوة. أرسلت أوربا الغربية ثمان حملات رئيسية غير الحملات الأخرى و أسّسوا ممالك صليبية على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط في القدس في عكا و في الكرك و في غيرها. لكن كلهم فشلوا في النهاية والسبب أن محاولة عسكرية رجعـــوا هم متأثرين بالحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي إلى اليوم.

في النهاية الفكر ينتصر و الفكر مع القوة ينتصر ، لكن قوة من دون فكر لايمكن أن تنتصر.

ترجيح قوة السيف علي الكتاب (الفكر و السيف من جانب الآخر):

يعترف أبوتمام[1] في قصيدته: «السَّيْـفُ أَصْـدَقُ أَنْبَـاءً مِـنَ الكُتُـب ** فـي حَـدهِ الحَـدُّ بَيْـنَ الجِـد واللَّعِـبِ و ...» أنّ السيف يكون أصدق من الكتب في معارضة نتائج حوادث الحروب و يكون السيف يستشهد صداقة الأمور.

الفكر مهما يدرك وقائع التاريخ ولكن السيف أرجح من الفكر في الاستشهادات التاريخية. عن طريق الفكر نستطيع أن ندرك حقائق الأمور لكن إيمان بها صعب. حوادث التاريخية تستلزم مصدر لتميز الخير و الشر و الحقيقة و الكذب و الفكر لايستطيع أن يقول لنا حقيقة التاريخ و الكتاب ممكن تملأ من الريب و لا يوجد فيه الّا الكذب. فالسيف أفضل مصدر حول مصادر حوادث التاريخية.

لكن قوة السيف أرجح من الفكر في هذا المكان فقط. ربّما لو كانت الفكر القوي في شعب القديم، لن تشتعل نار الحرب حتي الآن.

استعمال قوة الفكر مع قوة النار:

كان العباس الاول (996 – 1038 ه.ق) من أهم سلاطين إيران في تدمير حكومة العثمانيّ. بعد انحدار سلطنة الطهماسب و بعد أن جاء العباس الاول إلي القوة، يسيطر العثمانيون الغرب و الشمال الغربي من إيران. العباس الاول كان من السلاطين العاقلة في إيران. هو لطرد العثمانيين من إيران يستفيد من قوة الفكر مع استعمال قوة النار.

هو بعد السلطة الكاملة علي الحكومة لاعادة إدماج في الامور الداخلية أعطى بعض من أهم النواحي في البلد للعثمانيين نحو: آذربايجان، قره باغ و ... و تم توقيع العقد (عقد أماسية). بعد توقيع العقد و تأمين منافع العثمانيين، ذهب الي مناطق الشرقي و هجم علي الأتراك و ظفر عليهم. بعد غلبته علي الأتراك و بعد ترسيم الخريطة الذكية رجع الي العثمانيين و هجم عليهم و أعيدت النواحية الضائعة.

فكر العباس لإعطاء الاراضي للعثمانيين كانت جيد جدا. هو يريد أن تزال العثمانيون الي هذه انواحي، ثم أن يهجم الي الشرق ثم رجع لأخذ النواحي الضائعة. السيف لانتتصر واحدا بل يحتاج الي الفكر و يكمل بالفكر. كل شخص يستطيع أن يهجم على شخص، لكن لم يحصل الانتصار من دون الفكر.

---

١. حبيب أبوتمام، وُلد في جاسم في قرية دمشق. 796م. صاحب الديوان، المختارات، الفحول و ... .

الفكر يكون مرادنا التعقل:

الفكر مرادنا التعقل في شيء. الفكر في هذا الباب يقسم بالقسمان: التفكير بعقلانية و التفكير الانتزاعي.

التفكير بعقلانية: علي العموم يكون كلمة "الفكر" و "العقل" كلمتان مختلفتان. يمكن اتخاذ الفكر تؤدي الهزيمة. في المثال افترضوا شخصين "حر بن الرياحي" و "عمر بن سعد" في يوم عاشورا. كلتما فكّرا على مستقبلهم و وصلا الي نتيجة قطعية لكن انتصر حر و انهزم عمر. كان التفكير لحرّ التفكير بعقلانية و انتصروه، لكن التفكير لعمر ماكانت علي التعقل و قد أدي إلي هزيمتها. فالفكر مرادنا هذا. كما جيء في الاحاديث: الفكر دليل العقل و الفكر مدين الي تفكر العقلانية للانتصار و لا يحصل الفوز الّا بالتفكير بعقلانية.
التفكير الانتزاعي: التفكير الذي يكون الأفكار فيها المعتز و الأنانيّ و يتشكل من دون النظر الي الحقيقة و يكون محصور علي التأكيد الذهنية حتي الموضوعية. يسمّاه الاروبيون **concret** بمعني الموضوعية و الانتزاعية. التفكير الانتزاعي يكون تفكر الطفوليّة. التفكير الذي يحصل بالتعقل قليلا جدا و اتخاذها تحصّل الهزيمة.

نتيجة:

في النهاية ليس التفكر هو التعقل، بل التفكر يكمل مع التعقل. لكن هذا الفكر مع التعقل تحصّل الانتصار و السيف ليس شيئا الّا الهزيمة. في الغاية نستطيع أن نقول قوة الفكر من التاريخ حتي الآن أكثر فائدةً من السيف.

المصادر:

۱. ناصر بورپیرار، برآمدن اسلام، بخش دوم- بررسی اسناد ، صفحه ۱۶۵ ، تهران، کارنگ، ۱۳۸۰

۲. دیوید بلو، مترجم: شهربانو صارمی، صفحه ۷ تا ۱۳ ، تهران، ققنوس، ۱۳۹۰

۳. جان نستراک، مترجم: مهرداد فیروز بخت، خلاصه شامل کتاب، بخش اول، تهران، رسا، ۱۳۸۸

4. www.wikipedia.org

5. www.startimes.com

6. www.vista.ir